واعراض شرعية فاياك يا اخي ان تبادر الي الانكار علي احد من العارفين
اذا مدح نفسه وتخلله علي الاغراض النفسانية بعد اطلاعك علي هذه
الادلة والنقول الذي ذكرناها وعليك بحملهم علي احسن المحامل وقد
مدح الله تعالي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه بقوله اولئك
الذين هداهم واولئك هم اولوا الالباب وسمعت سيدي علي الخواص
رحمه الله تعالي يقول عليكم بالاعلان بما تفضل به عليكم من النعم فان
الله تعالي يستحي من عبده اذا قال اعطاني الله كذا وكذا ان يسلبه ذلك
لئلا يخجله بين عباده وسمعته ايضا يقول التحدث بنعمة الله من غير
فتنة ولا اغراض نفسانية خاص بالاكابر من الاوليا في كل عصر بخلاف
غير العارفين فربما دخل الريا علي احدهم في تحدثه بما انعم الله به عليه
قلت وايضاح ذلك ان للعبد في اظهار اعماله ثلاث حالات
احدها ان يظهر اعماله ريا وسمعة كما هو شان بعض العوام والعباد
الذين ليس لهم شيخ يربيهم ويرقيهم الي مقام توحيد الافعال لله
رب العالمين او لم يحفهم توفيق فان من وصل الي مقام توحيد
الافعال لله تعالي ذهب عنه الريا والسمعة والعجب والكبر باعماله
جملة واحدة كما سياتي الاشارة اليه في مواضع من هذا الكتاب لانه
حينئذ يري الفعل لله وحده لا شركة له في الفعل الا بقدر نسبة
التكليف لا غير ومعلوم ان احدا لا يرائي الا بما يشهده فعلا له واما
ما يراه من فعل غيره فلا يصح له الريا به الا ان الناس يكذبونه كما
ان العارفين بالله يكذبوه اذا راي الفعل لنفسه حقيقة وهذا
هو مذهب الجبرية بعينه فان الجبرية قوم وصلوا بالعقل الي
مقام توحيد الافعال لله وحده ولم يصلوا الي مقام الكمال في اضافتهم
الافعال الي الخلق فاخطا والشارع من اضافتها الافعال الي العباد بنحو
قوله تعالي تعلمون تفعلون تكسبون فلذلك ذمهم اهل السنة لكون
ذلك يودي الي الله تعالي بأخذ العبد بما ليس من كسبه ولا من فعله
جملة واحدة ولا يخفي ما في ذلك من رائحة اقامة الحجة علي الله تعالي
وان كان الحق تعالي من مرتبته ان يفعل ما يشا ولا مواخذة من لم
يذنب لكنه تعالي يفعل ذلك بل رتب الاسباب والمسببات وهذا المذهب
وان كان مدخله الخطا فهو احسن من مذهب المعتزلة علي كل حال لتابيده
بنحو قوله تعالي الله خالق كل شي وبنحو قوله والله خلقكم وما تعملون
ولم يات لنا شرع بان العبد يخلق افعال نفسه استقلالا بغير
اذن من الله تعالي ابدا فافهم فعلم ان من كمال ايمان العبد ان
يشهد العمال لله تعالي ايجادا وللعبد اسنادا كما سياتي ان شا الله
تعالي في الحالة الثالثة ثانيها يعني الاحوال ان يخلص من نفسه
شهود اخلاص العمال لله تعالي خلقا لا شركة لغيره تعالي فيه من

غير

غير ان يتمكن في المقام فهذا يخاف علي نفسه من اظهار اعماله للناس
كما يخاف من انها تخبط لرايحة اعتماده عليها دون الله تعالي كما هو شان
العباد سلفا وخلفا فلا يقدر علي اظهارها ثالثها يعني الاحوال
ان يخلص من نفسه بيقينا الخلاص من الريا بالكلية حين تمكن من حقايق
التوحيد فهذا لا يخاف من اظهار شي من عمله لانه يشهده لله تعالي وحده
كما يشهد ذاته خلقا لله تعالي علي حد سوا وكما انه لا يقدر علي انه يتبري من
كون ذاته خلقا لله تعالي وحده كذلك لا يقدر علي ان يضيف شيا من اعماله
لنفسه بل يراها لله رب العالمين ما عدي نسبة التكليف ثم اذا انتفي المحظور
واخلص العبد عمله لله رب العالمين لا شريك له فحينئذ يومر باظهار
كلما اجراه الله تعالي علي يديه من الاعمال وكساه له من الاخلاق اعترافا
له بالنعمة وهذا هو حقيقة الشكر التي ينتهي اليها الصديقون فان جميع
الاعمال التي يري العبد انه شكر الله بها من جملة نعمه عليه ايضا فصاحب
هذا المشهد يري نفسه كالالة الفارغة التي يحركها المحرك علي الفارغ
ويري نفسه عبدا غارقا في فضل سيده ونعمته سداه ولحمته نعم
فعلم انه ينبغي لصاحب هذا المقام اظهار جميع نعم الله عليه والتحدث
بها وان ذلك افضل في حقه من الاسرار بها بالعدم خوفه علي نفسه
من افات الاظهار واعلم ايضا ان كل من لم يصل الي هذه الحالة الثالثة
ذوقا وتحققا فكتمان الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة في حقه اولي
خوفا عليه من دخول الافات واما شهوده نسبة العمال له من حيث
التكليف فلا يقدح في هذا المقام لانه امر لا بد منه وقد اجمع اهل التوحيد
علي انه لا يقدح في توحيد العبد شهوده نسبة العمال اليه كما اشار اليه
قوله تعالي واياك نستعين فافهم وبما قررناه يعلم ان من قال
ان اخفا الاعمال اولي مطلقا اخطا واظهارها مطلقا افضل اخطا
ومن فصل في المسئلة فقد اصاب وسمعت سيدي علي الخواص رحمه
الله يقول الناس في اظهار الاعمال واخفائها علي اقسام منهم
من علانيته افضل من سريرته ومنهم من تساوت سريرته وعلانيته
ومنهم من رجحت سريرته في الخير علي علانيته ومنهم من غاب
عن ذلك كله فالاقسام الثلاثة الاولي قد يطرق صاحبها الريا والسمعة
لشهوده الترجيح بخلاف من غاب عن ذلك كله اي عن التقييد بشي
من هذه الاقسام الثلاث فحكم اختياره الطبعي بل حكم اختياره الشرعي
فيكون فانيا عن الاختيار في اختيار الحق تعالي فما رجح الشرع اظهاره
رجح هو اظهاره وما لا فلا قال وعلي الحالة الرابعة يحمل حديث
الاخلاص سر من اسراري اودعه قلب من شئت من عبادي لا يطلع
عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيطان غوي او ما هذا معناه
انتهي وقد اجمع الاشياخ علي ان من شهد في نفسه الاخلاص احتاج

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)